تغلغل الماسونية في الدولة العثمانية

١٨٣٩ - ١٩١٨

الدكتور عصمت برهان الدين عبدالقادر
كلية الاداب - جامعة الموصل

الملخص

بعد أن فتحت الدولة العثمانية ابوابها للعرب المسلمين واليهود الهاربين من الاندلس بعد ان احتلها الاسبان ، بدأ اليهود بالتغلغل في مفاصل الدولة ومن ثم عملوا بعد ذلك على نشر مبادىء الحركة الماسونية وتأسيس محافل ماسونية ضموا اليها اعداد من المعارضين لحكم السلاطين من مختلف الاديان والقوميات المؤتلفة داخل الدولة العثمانية ، وسعوا الى تحطيم الدولة العثمانية، وذلك عن طريق اغراق الدولة العثمانية بالقروض والديوان ، وعن طريق كسب زعماء وقادة جمعية الاتحاد والترقي الى الحركة الماسونية وفتح ابواب المحافل الماسونية لعقد اجتماعات الجمعية وتوفير الحماية لها بالتعاون مع بعض الدول الاجنبية من خلال سفاراتها في الدولة العثمانية ، فعمل قادة الجمعية من الماسونيين على تنفيذ تعاليم الماسونية وزجوا بالدولة العثمانية في اتون الحرب العالمية الاولى والتي ادت الى تحطيمها ومن ثم انهيارها .

تمهيـــد :

تعد الماسونية[1] من أقدم الحركات السرية في العالم وأكثرها غموضا ، فهي إطار يضم الممارسات والمعتقدات التي يؤمن بها الماسونيون ، وذلك من خلال رموز تشير الى فن البناء . وهذه المعتقدات تكون عادة سرية . والحقيقة ان هذه الحركة مازالت سرا محيرا لم تفك كل رموزه بعد ، على الرغم من المحاولات الجادة لبعض المفكرين والمؤرخين والباحثين ، الا ان الشيء الاكيد والمعروف عن هذه الحركة هو إرتباطها العضوي باليهود والحركة الصهيونية .

إن تاريخ نشوء الماسونية او جمعية البنائين الاحرار كما تسمى ايضا غير معروف بصورة واضحة حتى الان ، حيث يختلف الباحثون في اصل الماسونية وتاريخها ، فقد غالى بعض دعاة الماسونية في اصل نشأتها ، فزعموا ان الله سبحانه وتعالى هو مؤسسها الاول عند بدء الخليقة ، بينما زعم آخرون ان سيدنا آدم عليه السلام هو الذي انشأها بعد طرده من الجنة مباشرة ،

---

(١) جاء كلمة الماسونية من كلمة (Mason) التي تعني البنّاء او المعمار ، ويضاف اليها كلمة (Free) بمعنى حر فأصبحت البناء الحر (**Free Mason**). ولهذه الجمعية ممارساتها وطقوسها ، وتسمى فروعها المحلية (المحافل) ولها درجات اعلاها (٣٣) وهي درجة الاستاذية . وهي منظمة يهودية ذات اهداف تخريبية تسعى للسطرة على العالم للتفاصيل انظر : العمران (جريدة) ، العدد ٣٧٦ ، ج٤٦ ، م١ ، ٢٢ آب (١٩٠٨) ، صابر طعيمه ؛ الماسونية ذلك العالم المجهول (بيروت : دار الجبل .د.ت)

وهناك من نسبها الى جمعية ايزيس المصرية السرية ، كما يرجعها بعضهم الى عهد سيدنا موسى (عليه السلام) الذي نقل الاسرار المصرية الى الهنود ، ثم انتقلت الى الرومان وعدّوها المحفل الماسوني الاول ، وذهب بعضهم الاخر الى انها شيدت يوم بنى سيدنا سليمان (عليه السلام) هيكله المشهور عام (١٠١٢) ق٠م ــ وهو المحفل ــ الماسوني الثاني ، كما عد هيكل بطلهم (زرو بابل) المحفل الثالث ٠ وهناك من يقول انها تأسست تحت اسم (القوة الخفية) في الاعوام (٣٧ــ٤٤م) اسسها الملك هيرودوس اكريبا وحيرام ابيود (مبتكر الفكرة) وسمى هؤلاء محفلهم باسم اورشليم الا ان اول ظهور للماسونية بشكلها المعروف اليوم كان في مدينة ايكوسيا بأسكتلندا(٢)٠

في عام (١٧١٧) كان هناك ثلاثة من اقطاب اليهود يحتفظون بنسخة من مبادىء هذه الجمعية واهدافها وطقوسها ويجوبون العالم لغرض إعادة إنشاء واحياء الماسونية ، ثم قصدوا لندن التي يكثر فيها اليهود ، وقرروا تجديد نشاطها واستبدلوا الرموز القديمة باصطلاحات جديدة وقرروا تبديل تسمية الهيكل بالمحفل وتبديل اسم القوة الخفية الى البنائين الاحرار او الماسونية

---

(٢) شاهين بك مكاريوس ، الحقائق الاصلية في تاريخ الماسونية ، (مصر : مطبعة المقتطف ، ١٨٩٧) ، ص ٧ــ١٤ ؛ عوض الخوري ، تبديد الظلام او اصل الماسونية ، تحقيق وتقديم ابو صادق ، (بغداد : دار منشورات البصري ، ١٩٦٥) ، ص ٨٠ ؛ داؤد عبد القفو سنقرط ، ابناء يهوذا في الخفاء ، القوى الخفية لليهودية العالمية الماسونية ، ج٢ ، (الاردن / عمان: دار الفرقان ، ١٩٨٣) ، ص ٧ــ٩ ٠

ووضعوا لهـا بعض المبادىء البراقة[٣] • ويبـدو ان الحركة الماسـونية والماسونيين يحاولون اضفاء هالة من الغموض حول قدم وأصل الماسونية لاعطائها هيبة ورهبة في نفوس الاخرين •

عاشت الماسونية عصرها الذهبي في الغرب منذ ركوبها موجة التطور البرجوازي في بداية عصر النهضة الصناعية في اوربا وتحولها الى احدى عناصر هذه الطبقة الجديدة لتأخذ عناصرها الطفيلية حيزا كبيرا الى نشاطها البرجوازي الاقتصادي وبناءها السياسي ــ الدولة ــ وبعد ان استطاعت ترسيخ نفسها في بريطانيا اولا إمتد وجودها في اغلب البلدان الاوربية ، وكان لابد للدول الرأسمالية قبل ان تلجأ الى الغزو العسكري بتهيئة الظروف لها ، وخلق مناخ مناسب ودراسة اوضاع هذه المناطق من النواحي السياسية والفكرية والاقتصادية ، والعمل من خلال احداث تغيير نوعي في ميزان القوى العالمية لصالحها وكانت الماسونية احدى الادوات التي استطاعت بفعل نشاطها وفعالياتها المبكرة في الشرق ان تهيىء للاستعماريين مثل هذه الظروف وان تساهم في إحداث مثل هذا التغيير[٤].

اليهود والدولة العثمانية :

بعد قيام محاكم التفتيش في اسبانيا ، وانتشار عمليات الاضطهاد الديني للمسلمين واليهود عام (١٤٩٢) ، لجأ قسم من اليهود الى احد قباطنة القوة البحرية العثمانية في البحر المتوسط خير الدين باربروسا الذي كان له سطوة بحرية معروفة في البحر المتوسط في ذلك الوقت ، طالبين المساعدة ، فعمل

(٣) رعد الحلي ، « الماسونية عين اسرائيل في كل بلد » ، الطليعة العربية ، العدد ٧٣ ، ١ تشرين الاول ١٩٨٤ ، ص ٢٤ .

(٤) مالك منصور ، حقائق عن الماسونية (بغداد : دار الثورة ١٩٧٣) ص ٧٢ ، ٧٩ .

باربروسا على تهريبهم الى ثغور الدولة العثمانية ، وكان بعض حاخامات اليهود في اوربا قد قدّموا طلبا للسلطات العثمانية للسماح لليهود بالهجرة الى الدولة العثمانية ، وقد اجيبوا الى طلبهم . وفي جميع المناطق التي فتحها العثمانيون ووجدوا يهودا مضطهدين عملوا على نقلهم الى الدولة العثمانية ليتوزعوا في مدن استانبول وادرنة وأزمير وسلانيك[٥].

إن اليهود الاسبان ، كانوا يحملون معهم الى الدولة العثمانية رصيدا مهما ، وعلى الرغم من انهم خسروا ثرواتهم خلال الطرد . الا انهم لم يخسروا رصيدهم المهني والمصرفي ، اذ كانوا اصحاب مهن وذوي خبرة في صناعة الاسلحة ، فضلا عن معرفتهم باللغات الغربية وخبرتهم في شؤون المال[٦] . لذا فقد تمتعوا بالامان والاهتمام في ظل العثمانيين واتيح لهم تقلد وظائف مهمة ، ووسط هذا الجو من الامان بدأ اليهود حياتهم في الدولة العثمانية ، حيث عدّ القرن السادس عشر « الحقبة الذهبية » في تاريخ اليهود[٧].

ومن هنا بدأ تغلغل اليهود في المرافق التجارية والصناعية ، حيث اخذوا يمتلكون المحلات الكبيرة في أزمير وسلانيك وحتى في استانبول نفسها ، وقد حاول اليهود استغلال كل كبيرة وصغيرة بغية الوصول الى غاياتهم ، ومع تزايد الهجرة وبأعداد كبيرة منذ القرن السادس عشر بدأوا بالانتشار في مدن الدولة العثمانية : استانبول ، انقرة ، ادرنة ، جناق قلعة ، ازمير ،

---

(٥) د. احمد نوري النعيمي اليهود في الدولة العثمانية ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٠) ، ص ٢٥ ؛ جواد رفعت أتلخان ، الخطر المحيط بالاسلام ، ترجمة وهبي عز الدين ، (بغداد : ١٩٦٥) ، ص ٩٥ .

(٦) عزة جلال هاشم « الاقلية اليهودية في تركيا » ، السياسة الدولية ، العدد ٣١ القاهرة (يناير ١٩٩٨) ، ص ١٩١ .

(٧) اسماعيل صبحي ، سالنامة ثروت فتون ، او حبجي سنة ، استانبول (١٣٢٨) ، ص ١٦٨-١٦٩ ؛ هاشم ، المرجع السابق ، ص ١٩١ .

بورصة ، غــازي عينتاب ، الاســكندرون ، مرسيين وغيرها[8] • ومن ثــم امتد نفوذ اليهود وتغلغل في قصور السلاطين ليمتد بعد ذلك الى التدخــل في سياسة الدولة العثمانية من خلال حبك المؤامرات والاقتصاد والنساء •

جذور الماسونية في الدولة العثمانية :

ان وجود اليهود والدونمة (المرتدون) في الدولة العثمانية يسّــر كثيرا انتشار المحافل الماسونية فيها ، فقــد اسس اتباع شــبتاي ليفــي (١٦٢٦ ــ ١٦٧٦) اول محفل ماسوني في عام (١٦٧٥) ، والذي اصبح مصدر جميــع المحافل الماسونية في الدولة العثمانية[9] • وفي عام (١٦٨٣) انشأ يهود سلانيك اول محفل ماسوني لهم فيها[10] •

ابتداءً من القرن الثامن عشر اخذت وجهة الاصلاح في الدولة العثمانيــة تتجه نحو اقامته على نمط اوربي مع المحافظة على الاصول العثمانية الاسلامية، وقد تمت اولى هذه المحاولات في عهد السلطان احمد الثالث (١٧٠٣ــ١٧٣٠)

---

(٨) سنقرط ، المرجع السابق ، ص ١٣١ ، النعيمي ، المرجع السابق ، ص٧، ومن الجدير بالذكر ان عدد اليهود في الدولــــة العثمانيــــة قبل فتــح القسطنطينية عام (١٤٥٣)م كان لا يتجاوز (٥٠٠) نسمة ، وخلال عمليات الطرد من اسبانيا عام (١٤٥٢) قدم حوالي (١٠٠) الف يهودي ، انظــر : هاشم ، المرجع السابق ، ص ١٩١ ، النعيمي ، المرجع السابق ، ص ٧ .

(٩) في عهد السلطان محمد الرابع ادعى اليهودي شــبتاي سيفي (محمــد عبدالعزيز البواب) انه المسيح المنتظر ، انه اضطر تحت تهديد المــوت الى اشهار اسلامه ظاهريا وطلب من اتباعه اشهار اســلامهم علــى ان يمارسوا طقوسهم اليهودية في السر واطلق على هؤلاء اسم الدونمــة (المرتدون) او العائدون ، لمزيد من التفاصيل انظر : مصطفى طــوران ، يهود الدونمة ، ترجمة كمال خوجة ، (تونس : دار بو سلامة للطباعــة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٣) ؛ داوُد عبدالعفو سنقرط ابنــاء يهــوذا في الخفاء ، اليهود في الوطن العربي ، ج٥ ، (الاردن / عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٣) .

(١٠) النعيمي ، المرجع السابق ، ص ١٨٤ ؛ سنقرط ، ج٢ ص ١٢٩ .

والصدر الاعظم الداماد ابراهيم باشا (١٧١٧–١٧٣٠) الى جانب مجموعة من الموظفين والمثقفين العثمانيين الذين ارادوا مزج الثقافة العثمانية الاسلامية بالثقافة الاوربية واقامة علاقات اوسع مع دول اوربا[١١] . وكانت النتيجة ظهور مجموعات جديدة ذات اتجاه علماني ، فكان ان تغلغلت الماسونية ضمن المفاهيم الجديدة ولتعمل على تأسيس اول محفل ماسوني في استانبول عام (١٧١٧م) والذي ارتبط بالمحفل الفرنسي (المشرق الاعظم الفرنسي) وكان الصدر الاعظم الداماد ابراهيم باشا قد رأى في الماسونية تجديدا في الافكار والاراء فاتنسب اليها[١٢] . وقد عمل على تشجيع فكرة ارسال سفراء عثمانيين الى العواصم الاوربية للاطلاع عن كثب على منجزات المدنية الغربية ، وتقديم التقارير المتضمنة مشاهداتهم لانتقاء واقتباس ما يصلح لحياة الشرق ، وكان محمد چلبي الذي ارسل الى فرنسا عام (١٧٢٠) قد قدم بعد عودته منها تقريرا الى السلطان احمد الثالث بيّن فيه مدى التقدم الحاصل في اوربا في مختلف مناحي الحياة ، ثم شرح ما رآه للصدر الاعظم الذي عمل بدوره على حث السلطان للاخذ بمظاهر التقدم الذي اخذت به اوربا[١٣] . كما استطاع محمد چلبي وابراهيم متفرقة (١٦٧٤–١٧٤٥) وكانا من اوائل المنتسبين الى المحفل الماسوني في استانبول من إدخال اول مطبعة رسمية الى الدولة العثمانية على الرغم من معارضة شيخ الاسلام الذي حرم طبع القرآن الكريم والاحاديث

---

(١١) احمد فهد بركات الشوابكة ، حركة الجامعة الاسلامية ، ط١ ، (الاردن / الزرقا : مكتبة المنار ، ١٩٨٤) ، ص ٣١ .

(١٢) **Tark Zafer Tunaya , Turkkige'de siyasal Partiler, cilt, 1, Ikinci mesrutiyet Dönemi 1908-1918. (Istanbul : 1988), S, 381 ;**

النعيمي ، المرجع السابق ١٨٣

(١٣) الشوابكة ، المرجع السابق ص ٣١ .

الشريفة والمؤلفات الدينية والقانونية والتعليق عليها وطبع ما دون ذلك من المؤلفات(١٤).

أنتعشت الماسونية في اول عهد السلطان محمود الاول (١٧٣٠ــ١٧٥٤) ، الذي قرر استقدام مستشار اوربي للشؤون العسكرية هو النبيل الفرنسي كلودر الكسندر الكونت دي بونفال (١٦٧٥ــ١٧٤٧) ، الذي اشهر اسلامه وتسمى باسم احمد وكان في الوقت نفسه منتسبا للماسونية ، وقد عهد السلطان اليه احياء فرقة قاذفي القنابل (الخمبرجية) التي كانت قد اضمحلت منذ فترة . وقد عمل على اجراء اصلاحات عديدة ذات طابع عسكري واصبح له نفوذه في الدولة العثمانية(١٥) . وفي عام (١٧٣٨) أسس محفلا ماسونيا في جزيرة كورفو إلا انه لم يستمر لفترة طويلة(١٦).

شعر السلطان محمود الاول بخطر الحركة الماسونية وانتشار سطوتها ، فعمل على مناهضتها منذ عام (١٧٤٨) ، حيث اصدر امرا بأن تحيط الشرطة بالمحافل الماسونية وتعمل على طرد منتسبيها واقفال مقراتهم ، إلا ان الماسونيين وجدوا الحماية لدى السفارة البريطانية في استانبول حيث تدخل السفير البريطاني في الامر ، فكان ان اصر الباب العالي على توقف هذه المحافل عن العمل وان لا تؤازر الدول الاجنبية الجمعيات السرية ولاسيما المحافل الماسونية ، كما صدرت قوانين تمنع على العثمانيين الانتساب الى الجمعيات

---

(١٤) **Izzet Nuri Gun, yalcin ceLiker, MasoLuk ve MasonLar, isimler, belgeLer, , (Istanbul : 1968), S, 18 ;**

احمد عبدالرحيم مصطفى ، في اصول التاريخ العثماني ، ط١ ، (بيروت / القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٢ ، ص ١٦٠ــ١٦١ .

(١٥) **Tunaya, A.G.E,S, 381 ; Nuri Gun, A.G.E,S,**

مصطفى ، المرجع السابق ، ١٦١ــ١٦٢ .

(١٦) لويس شيخو ، السر المصون في شيعة الفرمسون ، تقديم وتحقيق ابو صادق ، (بغداد : دار البصري ، ١٩٦٥) ص ٣٢٤ .

السرية[١٧] . على اثر ذلك اصاب الضعف نشاط الحركة الماسونية الـذي استمر في الخفوت في عهـدي السـلطانين مصـطفى الثالث (١٧٥٧ـ١٧٧٤) وعبدالحميد الاول (١٧٧٤ـ١٧٨٩) ، إلا ان ذلك لم يمنعها من تأسيس بعض المحافل في استانبول ، كعالم يمنعها من إثارة القلاقل والصعوبات للدولـة العثمانية وفي الولايات العربية التابعة لها[١٨].

وحينما تولى عرش آل عثمان السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ـ١٨٠٧) اعجب السلطان بشعارات الثورة الفرنسية ، وقد دُوّن في عهده كتابا عـن الماسونية يشير الى ان السلطان سليم الثالث اصبح ماسونيا وان «... الاحكام التي تتعلق بذاته فانه غير مبال بالاسلام ، وكان يعتنق الماسونية التي تعتبـر عقيدة الزنادقة ... » لذا انتعشت الحركة الماسونية في عهده واسـتعادت بعض نشاطها السابق[١٩] . كما تم تأسيس اول محفل ماسوني في الوطـن العربي عام (١٧٩٨) في مصر بعد الاحتلال الفرنسي ، وكان قد رافق عمليـة الغزو عدد من الفرنسيين الماسونيين وعلى رأسهم الجنرال كليبر الذي اسـس المحفل المذكور واطلق عليه اسم ايزيس[٢٠].

في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ـ١٨٣٩) اعيد انشاء محفل جزيرة كورفو تحت اسم (فيثاغورس) وبرعاية (المشرق الاعظم الانكليزي) ثـم

---

(١٧) **Bernard Lewis, The Emergence of modern Turkey, (London : oxford university, 1968), P, 212, Tunaya , A.G.E. S, 381 ;**
شيخو ، المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

(١٨) عماد عبدالسلام رؤوف ، الموصل في العهد العثماني ، فترة الحكم المحلي (١٧٢٦ـ١٨٣٤) ، (النجف : مطبعة الاداب ، ١٩٧٥) ، ص ٤١٢ـ٤١٣
Nuri Gun, A. G. E, S, 18 ;

(١٩) **Tunaya, A. G. E, S, 18 ; Nuri Gun, A. G. E, S, 318 .**

(٢٠) عبدالله التل ، الافعى اليهودية في معاقل الاسلام ، (بيروت : دار الارشاد ، ١٩٧١) ، ص ١٣ ، منصور ، المرجع السابق ، ص ٨١ .

تأسست محافل اخرى في استانبول وأزمير وغيرها ، بعضها تابع للمشرق الاعظم الانكليزي وآخر تابع للمشرق الاعظم الفرنسي وقسم آخر للمشرق الاعظم الايطالي[٢١] . وفي عام (١٨٣٨) تم انشاء محفل ايطالي في الاسكندرية بمصر باسم محفل (مينيس) نسبة الى مين ملك مصر[٢٢] .

انتشار الماسونية في عهد التنظيمات :

شهد عهد السلطان عبدالمجيد (١٨٣٩ـ١٨٦١) نشاطا كبيرا للحركة الاصلاحية التي عرفت باسم (التنظيمات) وفور تسلمه العرش اصدر مرسوم (شريف كولخانة) يحتوي على بعض القوانين المقتبسة من الغرب ، وقد اريد من التنظيمات ان تكون القنطرة التي تعبر عليها الدولة العثمانية بشرقيتها الاسلامية الى غربيتها العلمانية والتي ترسخت فيما بعد كدولة علمانية ، ومع تنامي حركة الاقتباس بدأت افكار ونظم وقوانين غربية علمانية بالانتقال الى التطبيق العملي في الدولة العثمانية على حساب القوانين والاعراف والاخلاقيات التي تنبع (معظمها) من الشريعة الاسلامية .

في بداية عهد السلطان عبدالمجيد خفت النشاط الماسوني في العاصمة (استانبول) الا انه امتد الى الولايات العربية ، حيث أسس اول محفل ماسوني في ولاية البصرة عام (١٨٣٩) ، وفي عام (١٨٤٥) تأسس محفل جديد بالاسكندرية تحت اسم محفل (الاهرام) ، كما تأسس فيها محفل ايطالي عام (١٨٤٩)[٢٣] .

---

(٢١) شيخو ، المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .

(٢٢) احمد علوش ، الجمعية الماسونية حقائقها وخفاياها ، (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦) ، ص ١٢٢ ؛ منصور ، المرجع السابق ص ٨١ .

(٢٣) ابو صادق ، الماسونية بلا قناع (بغداد : منشورات دار البصري ، ١٩٦٧)، ص ٥ ؛ غلوش ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ ، ١٢٤

Nuri Gun, A. G. E, S, 18 ;

استفادت الحركة الماسونية من الظروف التي اوجدتها حرب القرم (١٨٥٣–١٨٥٦) ، لاسيما بعد اصدار مرسوم (خط همايون) عام (١٨٥٦) ، الذي تظهر في بعض فقراته عملية الاندماج في الغرب ، وقد كانت صيغته اكثر عصرية واكثر اقتباسا عن الغرب وبصورة لم تعهد من قبل في الوثائق العثمانية، فهو لم يستشهد بآية قرآنية واحدة او بقوانين الدولة القديمة وامجادها ، كما اكد من جديد تطبيق الخدمة العسكرية على المسلمين وغيرهم كما والحقت به مذكرة تؤكد من جديد الامر الصادر عام (١٨٤٤) . والخاص بعدم تطبيق عقوبة الاعدام على المرتدين عن الاسلام ، والعمل على مساواة الجميع مهما كانت اديانهم ومذاهبهم[٢٤] . كما ان معاهدة عام (١٨٥٦) التي عقدت بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية منحت اليهود حرية العمل لتستفيد منها الحركة الماسونية في ممارسة عملها دون خوف .

تزايد النفوذ البريطاني والفرنسي بعد وقوفهما الى جانب الدولة العثمانية في حرب القرم ، واستفاد الماسونيون ، من ذلك ، حيث قام اللورد رادينغ سفير بريطانيا في استانبول ، بتأسيس محفل (أسكوج) قرب غلطة ، كما افتتح السفير الفرنسي في استانبول محفل (الشرق الاعظم) فضلا عن افتتاح محفل ماسوني فرنسي آخر في منطقة بك اوغلي ، وفي هذا العهد اصبح كل من رشيد باشا وفؤاد باشا وعلي باشا واحمد وفيق باشا ونامق كمال وضياء باشا وشناسي ومدحت باشا اعضاء في المحفل الانكليزي ، واصبح رشيد باشا مسؤولا اداريا في محفل (اسكوج) وبعد انتقال اللورد رادينغ حل محله السير هنري بولفور الذي كان حريصا على متابعة النشاط الماسوني وديمومته في العاصمة العثمانية استانبول[٢٥] . وهنا يمكن تسجيل ملاحظة مهمة عن

---

(٢٤) مصطفى ، المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٢٥) **Tunaya, A. G. E, S, 18; Nuri Gun, A. G. E, S, 18-19.**

المدى الذي استطاعت الحركة الماسونية الوصول اليه من خلال استغلال الدول الاجنبية ونفوذها وسياستها ، وتهيئة هؤلاء لخدمة اهدافها ، واذا ما علمنا ان رشيد باشا ومدحت باشا وغيرهما ، تقلدوا فيما بعد منصب الصدارة العظمى فأننا سندرك مدى هيمنة المحافل الماسونية ولاسيما الانكليزية على الباب العالي وفي توجيه السياسة العامة للدولة العثمانية ، هذا بالاضافة الى ان مقرات السفارات الاجنبية في استانبول اصبحت بمثابة بؤر لتأسيس محافل جديدة وفرض حمايتها على الماسونيين •

اتصف عهد السلطان عبدالعزيز (١٨٦١–١٨٧٦) بعدة صفات منها :

تنظيم الدولة على الصعيد الداخلي ، وإصدار بعض القوانين الاصلاحية ، واصلاحات على الجانب العسكري وكذلك التقدم والرقي على الصعيد الفكري ، الا انه في الوقت نفسه وصلت خزينة الدولة الى هاوية الافلاس نتيجة التبذير والاسراف كما إتصف عهده ايضا بالتضيق على حرية النقد الناجمة عن التقدم الفكري في اواسط المثقفين العثمانيين المتأثرين بالثقافة الغربية، مما اضطر هؤلاء الى الهجرة الى لندن وباريس وجنيف وتحولوا من النقد الى التحريض على الثورة ، واخذوا يرسلون مقالاتهم عن طريق دور البريد الاجنبية التي تتمتع بالحصانة ، وكان على رأس هؤلاء ابراهيم شناسي الذي يعد اول اديب يعتنق الماسونية ، ومثله كان ضياء كوك ألب امين عام القصر السلطاني قبل هربه الى اوربا وكان متأثرا بعالم الاجتماع اليهودي (دوركهايم) وكان يترجم كتب الاديب الماسوني الفرنسي اميل زولا ، وكذلك ضياء باشا ونامق كمال ، وكان هؤلاء قد انشأوا جمعية سرية في باريس عام (١٨٦٥) واطلق عليها اسم العثمانيين الجدد عام (١٨٦٧)[٢٦]•

---

(٢٦) موفق بني المرجة ، صحوة الرجل المريض او السلطان عبدالحميد الثاني والجامعة الاسلامية ، (الكويت : مطابع دار الكويت للصحافة ، ١٩٨٤) ، ص ١٨٨–١٨٩ ؛ **Lewis, OP. Cit, P, 130-131 .**

وعلى الرغم من التضييق الذي مورس ضد المثقفين ، إلا ان عناصر الحركة الماسونية استطاعت تأسيس عدة محافل في استانبول منها محافل انكليزية وفرنسية والمانية وقد ضمت عددا من الارمن واليونانيين واليهود والمسلمين(٢٧) . كما انتشر العديد من المحافل الماسونية في العديد من الولايات العثمانية ومنها الولايات العربية مصر وبلاد الشام وانضم اليها بعض المثقفين العرب سواء كان الذين آمنوا بمبادئها او الذين انبهروا بها او الذين خدعوا بها او من انتموا لمجرد إشباع غريزة الفضول(٢٨).

ساهمت المحافل الماسونية ولاسيما في استانبول في محاولات خلع السلطان عبدالعزيز ، وكان على رأس المتآمرين حسين عوني باشا (وهو من يهود الدونمة) وكان صدرا اعظم سابقا ووزيرا للحربية ، والصدر الاعظم مدحت باشا ، والصدر الاعظم رشيد باشا وشيخ الاسلام خير الله افندي(٢٩).

ومن اجل ضمان نجاح عملية الخلع عمل المتآمرون الكبار على ضم كبار الشخصيات العثمانية ، ومنهم ولي العهد الامير مراد الذي كان ماسونيا متعلقا بأفكار الثورة الفرنسية متأثرا بذلك بصديقه الشاعر نامق كمال ، وكان ميالا

---

(٢٧) Nuri Gun, A. G. E, S, 19 ; Tunaya, A. G. E, S, 382

(٢٨) للتفاصيل انظر : حسين عمر حمادة ، شهادات ماسونية ، ط٢ ، (دمشق : دار قتيبة ، ١٩٨٣) ؛ وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية/ السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي (١٨٦٠ـ١٩٢٠) ، (بيروت : معهد الانماء العربي ، ١٩٧٦) ص ١٢٦ـ١٤٣ ؛ شيخو ، المرجع السابق ، ص ١٠٥ـ١٠٦ ، منصور ، المرجع السابق ، ص ٨١ـ٨٣ ؛ بني المرجه ، المرجع السابق ، ص ٣٣٩ـ٣٤١ .

(٢٩) احمد صائب بك ، واقعة السلطان عبدالعزيز ، تعريب محمد توفيق جانا ، ط٢ ، (بيروت : مطبعة الاقتصاد ، ١٩١١) ، ص ١٦٨ـ١٦٩ ، ٢٥٤ـ٢٥٧ .

; Tunaya, A. G. E, S, 382 ;

T. yiLmaz oztuna, Tarkiy turihi, cilt 12, (Istanbul, 1967) S, 58-59).

الى حياة العبث والمجون ، وارتبط بصداقة مع ولي عهد بريطانيا الامير إدوارد الذي استطاع ان يضمه الى الماسونية وزوده برسالة لاستاذ المحفل الماسوني (اسكوج) في استانبول يوصي بقبوله في محفل (المشرق الاعظم الانكليزي) وبعد ضمه الى عصبة المتآمرين اخذ يحضر الاجتماعات السرية معهم في بيت مدام (فلوري)[٣٠].

من اجل تهيئة الاجواء الدولية ، استغل حسين عوني باشا سياحته في فرنسا لاجراء عدد من الاتصالات السرية مع كبار السياسيين والعسكريين الفرنسيين كما اجرى لقاء مع رئيس لجمهورية الفرنسية (ماك ماهون) للتباحث حول موضوع خلع السلطان عبدالعزيز ، وفي الوقت نفسه كان مدحت باشا يجري اتصالا سريا مع السفير البريطاني في استانبول هنري اليوت حول الموضوع نفسه[٣١] . وبما ان السلطان عبدالعزيز كان على علاقة طيبة مع الروس من خلال الصدر الاعظم السابق محمود نديم باشا صديق الروس الحميم ، لذا فان عملية خلع السلطان عبدالعزيز لن تثير عدوتيها التقليديتين فرنسا وبريطانيا بل ستكون موضع ترحيب .

بعد ان هيأ المتآمرون الاوضاع محليا ودوليا ، تمت عملية خلع السلطان عبدالعزيز بهدوء ونصب الامير مراد سلطانا على عرش آل عثمان تحت اسم مراد الخامس ، الا ان السلطان الجديد لم يهنأ بمنصبه اذ ما لبث ان ظهرت عليه امارات مرض عقلي استوجبت عزله وتنصيب الامير عبدالحميد محله تحت

---

(٣٠) Nuri Gun, A. G. E, S, 20 ; oztuna, A. G. E, S, 62.

(٣١) اورخان محمد علي ، السلطان عبدالحميد الثاني ، حياته واحداث عهده (الانبار : دار الانبار ، ١٩٨٧) ، ص ٦٦-٦٨ .

(٣٢) لمزيد من التفاصيل ، انظر ، حسين حفظي ، سلطان مراد وبسبب خلعي (باب عالي جادة سندة ، ٢٨ نومرولي مطبعة ده طبع أولنمشدر ١٣٢٦ ، ص ٤-١٥ ؛ صائب بك ، المصدر السابق ، ص ٢٤٤-٢٧٢ .

اسم السلطان عبدالحميد الثاني[٣٢] • ليبدأ التاريخ العثماني مرحلة جديدة وحاسمة •

كان الموقف الرسمي للدولة العثمانية تجاه اليهود وديا حيث عوملوا معاملة طيبة وعادلة وتمتعوا بقدر كبير من الاستقلال في إدارة شؤونهم ، إلا ان مطامع التي استهدفت الاستيلاء على فلسطين وإقامة « دولة يهودية » عن طريق حث اليهود في مختلف انحاء العالم على الهجرة اليها ، دفعت بالعثمانيين الى اتخاذ بعض الاجراءات ضدهم ، وما ان اعتلى السلطان عبدالحميد الثاني العرش عام (١٨٧٦) حتى عمد الى متابعة النشاط اليهودي في الدولة العثمانية عامة وفلسطين خاصة ، وكان يعلم نياتهم حيث يقول في مذكراته السياسية : « أن لليهود نفوذا في اوربا اكثر من نفوذهم في الشرق ، لهذا فأن دول اوربية كثيرة ارادت التخلص من اليهود ـ العرق السامي ـ وايدت هجرتهم الى فلسطين ، ولكن في دولتنا عددا كبيرا من اليهود ، فاذا كنا نريد ان يستمر العنصر العربي الاسلامي متوقفا في فلسطين يجب ان لا نسمح بتهجير اليهود اليها ، واذا كان الامر عكس ذلك وسمحنا لهم بالهجرة فانهم بفترة قصيرة يسيطرون على الحكم وتصبح فلسطين تحت سيطرتهم ونكون بذلك قد قضينا بأيدينا على عنصر ديننا بالموت الاكيد »[٣٣] • وعمد السلطان عبدالحميد الثاني الى تعيين رؤوف باشا متصرفا للقدس عام (١٨٧٦) ، وكان معروفا بكفاءته ونزاهته ، وكان يرسل بين الحين والاخر مفارز لتعقب اليهود المقيمين في فلسطين بصورة غير مشروعة ويطردهم منها • بالرغم من ذلك فان اعداد اليهود المتسللين الى فلسطين كانت تزداد تدريجيا ، فبعد ان كان عددهم عام (١٨٨٠) (٢٢) الف يهودي اصبح عام ١٨٨٢ (٢٤) ألف يهودي ، واخذت

(٣٣) Sultan Abdulhamit, siyasihatratim, dergàh yaynLari, (IstanbuL), S, 76.

اعدادهم تزداد باضطراد ــ ولاسيما يهود روسيا ــ منذ عام (١٨٨٢) . وبهدف الحد من تدفق الهجرة اليهودية الى فلسطين فرض السلطان عبدالحميد الثاني قيودا على المهاجرين عام (١٨٨٢) . الا ان هذه القيود لم تطبق بسبب فساد الجهاز الاداري في فلسطين الذي كان يتحايل على تلك القيود وغيرها من الاجراءات الاخرى بالتعاون مع القناصل الاجانب لتسهل دخول المتسللين والمهاجرين الى فلسطين مقابل رشاوي من اليهود والقناصل الاجانب لاسيما قناصل روسيا والمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة ، علاوة على ذلك فان المهاجرين اليهود من رعايا الدول التي كانت تتمتع بامتيازات في الدولة العثمانية بموجب نظام الامتيازات الاجنبية ظلوا يتمتعون بهذه الامتيازات نظرا لعدم تخليهم عن جنسياتهم السابقة(٣٤).

ازاء السياسة الصارمة للسلطان عبدالحميد الثاني ضد استيطان اليهود في فلسطين عمد ثيودور هرتزل ــ مؤسس الحركة الصهيونية فيما بعد ــ الى التمهيد لمقابلة السلطان عبدالحميد الثاني بغية الحصول على وعد بالسماح لليهود بالهجرة الى فلسطين مقابل دفع اموال طائلة لخزانة السلطان الخاصة وخزائن الدولة العثمانية ، وقد اجرت اتصالات عدة مع كبار رجال الدولة العثمانية منذ عام (١٨٩٣) ومن هؤلاء جاويد بك بن الصدر الاعظم وخليل رفعت ونوري بك سكرتير عام وزارة الخارجية العثمانية وعزت باشا العابد السكرتير الثاني للسلطان عبدالحميد الثاني ، فضلا عن توسيط مسؤولين واصدقاء اجانب(٣٥).

---

(٣٤) عصمت برهان الدين عبدالقادر ، دور النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني (١٩٠٨-١٩١٤) رسالة ماجستير غير منشورة (الموصل : جامعة الموصل ، ١٩٨٩) ، ص ٢٠٠-٢٠١ .

(٣٥) لمزيد من التفاصيل عن محاولات هرتزل ، انظر : ثيودر هرتزل ، يوميات هرتزل ، اعداد انيس صايغ ، ترجمة هيلدا شعبان صايغ ، ط٢ ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣) .

في (١٨) أيار (١٩٠١) اثمرت تلك الاتصالات عن اجراء مقابلة مع السلطان وقد رافق هرتزل فيها حاخام اليهود في الدولة العثمانية موسى ليفي ، وعدد الاثنان إفضال السلطان عبدالحميد الثاني ورعايته لليهود ، كما تحدث هرتزل عن امكانيات اليهود المالية من اجل اعانة الدولة في ضائقتها المالية ، وطلب الاثنان منه السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين[٣٦] . وكان السلطان مدركا لما يريده اليهود حيث يقول : « إن الصهيونية لا تريد اراضي زراعية في فلسطين لممارسة الزراعة فحسب ، ولكنها تريد ان تقيم حكومة ... وانني اخبرهم ان عليهم ان يستبعدوا فكرة انشاء دولة في فلسطين لانني لازلت اكبر اعداءهم »[٣٧] . لذا كان رده على مطاليب هرتزل ووسطائه : « إنني لا استطيع ان اتخلى عن شبر واحد من الارض ، وهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي ، لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الارض ، ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم . اذا مزقت إمبراطوريتي فعلهم يستطيعون آنذاك ان يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، ولكن يجب ان يبدأ ذلك التمزيق اولا في جثتنا وانني لا استطيع الموافقة على تشريح اجسادنا ونحن على قيد الحياة »[٣٨] ؛ كما ان السلطان كان مستعدا لفتح ابواب الدولة امام هجرة اليهود ضمن سياسة تهجير خاصة على ان تستثنى فلسطين من الهجرة . ومن جانب اخر بذل السلطان جهده لابقاء يهود الدونمة في مدينة سلانيك . معقلهم الرئيسي وعدم إفساح المجال لمجيئهم الى العاصمة استانبول[٣٩].

---

(٣٦) حسان علي حلاق ، موقف الدولة العثمانية من الهجرة الصهيونية (١٨٩٧ـ١٩٠٩) ، ط٢ ، (بيروت : الدار الجامعية للطباعة والنشر ، ١٩٨٠) ، ص ١٨٢ـ١٨٣ ؛ اتلخان ، المرجع السابق ، ص ١٢١ـ١٢٢ .

(٣٧) **Abdülhamit, A. G. E, S, 77.**

(٣٨) حلاق ، المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

(٣٩) هرتزل ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠ ؛ اتلخان ، المرجع السابق ، ص٧٥ـ٧٦؛ **Abdülhamit, A. G. E, S, 59.**

بعد اعلان الدستور العثماني عام (١٨٧٦) ، ازدادت فعاليات الحركة الماسونية ونشاطها حيث تم تأسيس العديد من المحافل ، في استانبول ثم افتتاح محافل جديدة وقد تنوعت فمنها الفرنسية والانكليزية ولايطالية واليونانية ، وقد مارست جميعها نشاطات وفعاليات ، واكثر هذه الفعاليات كانت في الروملي وبلهسا وسلانيك ، وكانت الاخيرة مركز العمل الماسوني ، وكان السلطان عبدالحميد الثاني يعتقد أن الماسونيين يخدمون اهداف الانكليز والفرنسيين والارمن واليونان ، وان جميع النشاطات المعادية داخل الدولة العثمانية تغذى من قبل هذه الجماعات الموالية للاجانب ، وفعلا كانت محافل سلانيك وكوسوفو ومناستر تحت سيطرة الاجانب(٤٠).

كانت عينا السلطان عبدالحميد الثاني تراقبان النشاط الماسوني ، ولاسيما في استانبول لذا فان اول ضربة جدية وموجعة للماسونية كانت في عهده ، حيث شرع في ابعاد من يخشى خطره من السياسيين والمناصرين للماسونية وعلى رأسهم الصدر الاعظم مدحت باشا الذي قد وزع اعوانه في المراكز الحساسة في الدولة مثل ضياء باشا ونامق كمال ورشدي باشا ، وكان السلطان يعلم ان هؤلاء من الماسونيين و « أنهم داخلون في جمعيتها »(٤١) . لذا فانه عمل على تشتيتهم ولاسيما بعد عزل مدحت باشا من منصب الصدارة العظمى ، وابعد ضياء باشا سفيرا في برلين ، ونفى الاديب نامق كمال وعددا اخر من السياسيين خارج العاصمة استانبول(٤٢).

(٤٠) Nuri Gun, A. G. E, S, 21-23 ; Tunaya, A. G. E, S,383,

(٤١) Ismet Bozdag, AbluL hamidin hatira dafteri, yayina hazirLayan vesadeLest, Ren , (IstanbuL - 1925). S, 41.

(٤٢) Niyazi Berkes. The development of secuLarism in Turkey. (Canada : 1964). P, 104-105 .

شرع السلطان عبدالحميد الثاني بتعقب المحافل الماسونية واصدر اوامره المشددة بغلق جميع المحافل الماسونية في الاراضي العثمانية ، وفعلا تم غلق بعضها • ومع اعتبار فترة حكم السلطان عبدالحميد الثاني المظلمة للحركة الماسونية في الدولة العثمانية فان بعض المحافل الماسونية مارست نشاطها في منتهى السرية ، وقد كتب احد الماسونيين « ان مضايقات السراي للماسونيين كانت في استانبول اما الروملي ومقدونيا وبلهسا وسلانيك وما جاور هذه المناطق فقد كانت المحافل الماسونية تعمل بهمة ونشاط كبيرين »(٤٣)•

وقد يعزى ذلك الى ان السلطان عبدالحميد الثاني لم تكن في حوزته الامكانيات الكافية لمراقبة جميع النشاط الماسوني في جميع الاراضي العثمانية ومتابعة تنفيذ اوامره بدقة متناهية وعدم معرفة افراد الشرطة العثمانية وجهاز الجاسوسية (الخفية) قواعد هذه المحافل ووسائلها المتناهية السرية ، هذا فضلا عن امتلاك الحركة الماسونية لجميع الامكانيات المادية والمعنوية ووسائل الاغراء والتهديد والرشاوي لشراء الذمم وكسب الانصار •

بذلك الحركة الماسونية جهودا مضنية في سبيل مزاولة نشاطها في الدولة العثمانية ونجحت في تأسيس محافل عديدة في استانبول وازمير بعضها تابع للمشرق الاعظم الانكليزي واخر للفرنسيين وثالث للايطالي ، حتى اصبح عدد الماسونيين العثمانيين عام (١٨٨٢) نحو (١٠) آلاف شخص بينهم الوزراء والنواب وقادة الجيش وكبار المسؤولين ، وفي سنة (١٨٨٤) تم تأسيس محفل اعظم من لدن الماسوني (سافا باشا) وقد ارتبط هذا المحفل بالمحفل الايطالي الاعظم والمسمى محفل (ريزورتا) ، وكان لهذا المحفل والمحفل الاخر المسمى (فيرتاس) ، دور كبير في تفعيل وتنشيط الحركة الماسونية في الدولة العثمانية وخاصة في سلانيك ومقدونيا ، وكان يقود النشاط الماسوني في ذلك الوقت اليهودي الدونمي عمانوئيل قرەصو الذي كان يحمل درجة استاذ اعظم ،

---

(٤٣) Nuri Gun, A. G. E, S, 22-25 ;

وكان لمحافل سلانيك مميزاتها الخاصة ، حيث كان عدد اليهود فيها كبيرا ، كما انها مركز تجاري واسع مع الغرب ، اضافة الى الكثافة الاجنبية ، مما شـل فعاليات رجال الامن والشرطة العثمانية(٤٤).

في مايس (١٨٩٠) ، اجتمع (٤٥) شخصا من ممثلي الماسونية العثمانية ، وعملوا على تأسيس محفل ماسوني عثماني اطلقوا عليه اسم (المشرق الاعظم العثماني) وقد رشح لهذا المنصب الماسوني العثماني محمود اورفا باشا ، وبعد وقت قصير تم الاعتراف بالمحفل الجديد من الماسونية الفرنسية والايطالية(٤٥). ويعد هذا اول محفل ماسوني عثماني برئاسة محلية .

استمرت محاربة السلطان عبدالحميد الثاني للماسونية ومحافلها ، وكانت اوامره المشددة تمنع حتى مجرد الكتابة عن الماسونية او الاشارة اليها ، وكانت عينا الرقيب تتابع المطبوعات وتعمل على شطب ومنع اية كتابة عن الماسـونية ومحافلها ونشاطاتها سواء في داخل الدولة العثمانية او خارجها .

حاول الماسونيين ارضاء السلطان عبدالحميد الثاني ليسمح لهم بتوسيع نشاطهم والسماح لليهود ببعض الامتيازات في فلسطين ، وقد قام الماسـوني عمانوئيل قرهصو مدفوعا من ثيودور هرتزل والمحافل الماسونية بمقابلة السلطان عارضا عليه مبلغ (٥) ملايين ليرة ذهبية هدية له ، و(١٠٠) مليون ليرة ذهبيـة اخرى على شكل قروض بدون فائدة وعلى مدى (١٠٠) عام مقابل الامتيازات تلك ، الا ان السلطان غضب غضبا شديدا وامر بطرد قرهصو ، فكان ان خرج قرهصو الى باخرة اقلته الى ايطالية ومن على متنها ارسل برقية الى السـلطان قال فيها : « رفضت عرضا سيكلفك ويكلف دولتك كثـيرا » . وكـان رد السلطان عام (١٨٩٢) بأصدار امر يقضي باغلاق المحافل ومنها محفل (فينيقية)

---

(٤٤) حلاق ، المرجع السابق ، ص ٢٩٠ ؛ محمد علي ، المرجع السـابق ، ص ٢٨٧ ؛ Nuri Gun, A. G. E, S, 23-24 ;

(٤٥) النعيمي ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

في بيروت ، تحسبا لتغلغل النفوذ البريطاني عن طريق بلاد الشام ، لارتباطات هذا المحفل بالمحفل الماسوني الاكبر المصري الذي كان يسيطر عليه الماسون الانكليز ، الا ان ذلك لم يمنعهم من ممارسة نشاطهم بصورة سرية وكانوا يعقدون اجتماعاتهم في الكهوف خارج بيروت حذرا من اكتشاف امرهم من السلطات العثمانية(٤٦).

في عام (١٨٩٤) عاد السلطان عبدالحميد الثاني ليجدد اوامره الصارمة باغلاق جميع المحافل التي عاودت نشاطها ما عدا محافل سلانيك لارتباطاتها الدولية والحماية الاجنبية المفروضة عليها ، ونظرا لخطورة الاوضاع والتحركات العلنية والسرية للمحافل الماسونية في سلانيك وسيطرة الماسونيين على مجلس ادارتها مما يسبب خطرا على الحكم العثماني ، اصدر السلطان اوامره عام (١٨٩٥) الى لجنة التفتيش في الرومالي لزيادة اعضاء المجلس فيها(٤٧).

في عام (١٨٩٧) عقد المؤتمر الصهيوني الاول في بازل في سويسرا وتكشفت اهداف الحركة الصهيونية بشكل علني مما جعل الدولة العثمانية تأخذ حذرها ، وبعد عام (١٨٩٨) شنت الدولة العثمانية حملة جديدة ضد الماسونية ولاسيما بعد اخفاق وساطة الامبراطور الالماني غليوم في اثناء زيارته لاستانبول ، حيث رفض السلطان عبدالحميد الثاني اعطاء اليهود اي امتياز في فلسطين ، وكان اليهود والصهاينة والماسون يُكفّرون ويطاردون وتغلق الاوكار والمحافل اينما وجدت(٤٨).

---

(٤٦) شيخو ، المرجع السابق ، ص ١٧٨ ؛ سنقراط ، ج٢ ، ص ١٢٨ ؛ منصور ، المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٤٧) حلاق ، المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .

(٤٨) ابو صادق ، المرجع السابق ، ص ٢٣٢–٢٣٤ . ومن الجدير بالذكر ان اليهود الذين حضروا مؤتمر بازل في سويسرا عام (١٨٩٠) هم ممثلوا الماسونية ، ومما يؤكد ذلك ان الموقعين على البروتوكولات في نهاية البروتوكول (٢٤) وقعوا بالعبارة التالية «ممثلون صهيون من الدرجة ٣٣». انظر عجاج نويهض ، بروتوكولات حكماء صهيون ، م١ ، (بيروت : منشورات فلسطين المحتلة ، ١٩٨٠) ص ٢٩٢ .

الحرب ضد السلطان :

عندما خاب امل اليهود والصهيونية والماسونية في الحصول على مايريدون من السلطان عبدالحميد الثاني ، اعلنوا الحرب ضده ، وكانت لديهم وسائلهم العديدة لهذه الحرب : المال ، والاقتصاد ، والاعلام .

شنت الصحافة اليهودية الصهيونية حملة عالمية مستعينة بثالثة الاثافي الماسونية العالمية ، استخدمت الحافل الماسونية في فرنسا وايطاليا لنشر الدعاية ضد السلطان عبدالحميد الثاني ، ولم تترك عيبا من عيوب الحكم الا والصقته بحكمه ، حتى اصبح بعرفهم رمزا للظلم والاستبداد والقسوة ، كما استخدموا اساليب بث الاشاعات الكاذبة ، فقد اشاعوا وجود سوء تصرف وسرقات في مشروع سكة حديد الحجاز الذي ساهمت به الدول الاسلامية ، وان معظم الاموال حولت لخزانة السلطان ، مما جعل السلطان يأمر بتشكيل لجنة محايدة من خبراء اوربيين برئاسة جنرال الماني للتحقيق في تلك الاشاعات وبعد بضعة اشهر من تلك التحقيقات ظهر عدم وجود اي اساس لتلك الاشاعات[٤٩] . وبالتأكيد فان الحركة الماسونية والصهيونية شعرتا بخطر امتداد السكة الحديدية الى الحجاز مما يؤثر على مخططاتهم المستقبلية في فلسطين والوطن العربي .

لم يكتف الماسونيون ببث الدعايات والاشاعات ، بل عملوا على تأجيج نار الفتنة وأثارة العصبيات والانانيات ونبش الماضي وتحميل العثمانيين اوزار احداث فتنة لبنان عام (١٨٦٠) ، واثارة احداث بلغاريا من جديد[٥٠] . ولاسيما ان السلطان عبدالحميد الثاني كان يواجه ظروفا صعبة مثل التدخلات الاجنبية

---

(٤٩) التل ، المرجع السابق ، ص ٧٨ ؛ اتلخان ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ـ١٢٩

(٥٠) زياد ابو غنيمة ، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك ، ط١ ، (الاردن / عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٣) ، ص ٤٧ـ٥٢ ؛ هاشم ، المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

بحجة حماية الاقليات ، وانبعاث المشاعر القومية التي حاول السلطان احتوائها عن طريق رفع شعار « الجامعة الاسلامية » كبودقة تجمع مختلف قوميات الدولة العثمانية .

في عام (١٨٨٩) شكلت جماعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية الامبراطورية في استانبول منظمة سرية هدفها عزل السلطان عبدالحميد الثاني ، وكان وراء هذه المنظمة رجل ماسوني الباني يدعى ابراهيم تيمو (ادهم) ، وكان قد توقف عام (١٨٨٨) في نابولي وبرنديزي وهو في طريقه الى بلده البانيا ، وزار خلال اقامته هناك محفلا ماسونيا مع احد اصدقائه وتعرف هناك على دور جمعية الكاربوناري (الفحامين) في تاريخ ايطاليا(٥١) . وقد انتقلت جمعية الاتحاد والترقي التي اسسها سلانيك ، وهناك التقت مصالح يهود الدونمة والحركة الماسونية والجمعية المذكورة لازاحة السلطان عبدالحميد الثاني عن الحكم ، وفيها توثقت العلاقات بين ضباط الجيش الثالث وبين المحافل الماسونية المنتشرة هناك(٥٢).

---

(٥١) آرنست رامزور ، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ترجمة احمد صالح العلي ، (بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٠) ، ص ٥٠ . ومن الجدير بالذكر ان معظم قادة جمعية الاتحاد والترقي من اصول غير تركية ، فأنور باشا ابن لرجل بولندي ، وطلعت باشا من مسلمي الغجر البلغاريين ، واحمد رضا من اب تركي وام مجرية ، وابراهيم تيمو الباني ، وجاويد بك ونسيم ماز لياح من يهود الدونمة ، وجميع هؤلاء من الماسون . انظر : جواد رفعت اتلخان اسرار الماسونية ، ترجمة نور الدين الواعظ المحامي ، سليمان محمد امين القابلي ، (الدوحة مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت) ص ٥٩ ؛

Lewis, oP, cit, P, 212 ; Berkes, oP Cit, P, 305 ;

(٥٢) جون هاسلب ، السلطان الاحمر عبدالحميد ، تعريب فيليب عطا الله ، (بيروت : دار الروائع الجديدة ، ١٩٤٧ ، ص ٢٩٧

Berkes, oP. Cit, P, 305 ;

تلاحمت الجهـود الداخلية والخارجيـة بغية التخلـص من السـلطان عبدالحميد الثاني ، وعليه فقد قرر محفل (المشرق الاعظم) الماسـوني خلـع السلطان بداية عام (١٩٠٠) ، وبدأ يجذب جمعية الاتحاد والترقي منذ بدايتها ، وقد رحبت المحافل الماسونية القديمة في سلانيك بالفكرة ؛ ويعود الفضـل في جذب عناصر الجمعية الماسونية الى عمانوئيل قرهصو الاستاذ الاعظم لمحافـل سلانيك[٥٣] . وعليه فقد عقدت الجمعية اجتماعاتها الاولى في المحفل الماسوني الايطالي ، وفتحت السفارات الاجنبية للمعارضة ، كما وكانت بريطانيا وفرنسا سباقتين لايواء اللاجئين من معارضي الحكم الحميدي وتركتهم يعملون علنـا لاسقاط السلطان ، كما كانت ايطاليا تشجع هذا الميول ، وسهلت اتصـالات عناصر الجمعية في الداخـل والخارج من خـلال البريـد الاجنبي المتمتـع بالحصانة[٥٤] . كما عملت الحركة الماسونية بالتعاون مع المؤسسات الصهيونية على تمويل صحيفة (تركيا الفتاة) وصحيفة (عثما نيتشر لويد) المناهضـة للسلطان عبدالحميد الثاني[٥٥] .

بعد رفض السلطان عبدالحميد الثاني مطالب هرتزل في المقابلة ، قـدم الاخير تقريره الى لجنة الاعمال الصهيونية عن نتيجة المقابلة وجاء فيه « أقـر على ضوء حديثي مع السلطان عبدالحميد الثاني انه لا يمكن الاستفادة مـن تركيا الا اذا تغيرت حالتها السياسية ، اما عن طريق الزج بها في حروب تنهزم فيها ، او عن طريق الزج بها في مشـكلات دولية ، او بالطريقتين معـا في آن

(٥٣) الاستانة العلية ، مجلة الهلال ، ج٣ ، س١٨ ، اول ديسـمبر ١٩٠٩ ، ص ١٣٥ ؛ رامزور ، المرجع السابق ، ص ١٢٤-١٢٦ ، ٢٠٠٠ .

(٥٤) سعيد الافغاني ، سبب خلع السلطان عبدالحميد الثاني ، مجلة العربي ، العدد ١٦٩ ، الكويت ١٩٧٢ ، ص ١٥٢ ؛

Serif Mardin, The genesis of young Ottman thougha, (New Jersy : 1962), P, 116-117.

(٥٥) حلاق ، المرجع السابق ، ص ٣١٩ .

واحد » وفي اول مؤتمر عقده اعضاء جمعية الاتحاد والترقي عام (١٩٠٢) ، اقر المؤتمرون خطة للاطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني ، وعرضت الخطة على ادموند مونسن (E. Monson) السفير البريطاني في باريس الذي حولها الى اللورد ساندرسن Sanderson الوكيل العام لوزارة الخارجية ، وطلب الاتحاديون توفير الحماية البحرية لهم من اي عمل قد تقوم به روسيا لمنع نجاح انقلابهم ، وقد نال المؤتمرون وعدا بالتأييد[٥٦] . استعانت الحركة الماسونية بكبار الشخصيات وصغارها في سبيل تنفيذ خططها ، حيث نظمت المؤامرة الارمنية الاولى بتشجيع ودعم ادوارد السابع ملك بريطانيا الماسوني ، والذي قدم (١٣) الف ليرة ذهبية للمنظمة الارمنية السرية (الطاشناق) من اجل اغتيال السلطان عبدالحميد الثاني ، كما فتح اعتمادات مالية في المصارف الاجنبية لخدمة الاهداف الصهيونية وقد قامت مجموعة الاغتيال بالهجوم على الباب العالي وقمت مجموعة اخرى بمهاجمة (البنك العثماني) عام (١٨٨٦) . وقد القي القبض على مجموعة الاغتيال في الباب العالي وعلى اثر ذلك حركت الحركة الماسونية انصارها وعلى رأسهم السفير البريطاني في استانبول لحمايتهم بحجة الامتيازات الاجنبية وكان له ما اراد[٥٧] .

بعد اخفاق الخطة الاولى لاغتيال السلطان عبدالحميد الثاني ،اعدت الحركة الماسونية خطة جديدة في سويسرا وكلف بالامر (ادوارد جورس) وهو يهودي مجري ، فرنسي الجنسية تدرب في روسيا على اعمال الاغتيالات وتعاون جورس مع منظمة (الطاشناق) الارمنية السرية ، وقد استطاع هؤلاء ادخال عربة الى البلاد صنعت خصيصا لهذا الغرض ثم اعيد تركيبها ووضعت

---

(٥٦) ابو غنيمة ، المرجع السابق ، ص ٤٦-٤٧ ؛ الشوابكة ، المرجع السابق ، ص ٣١٥-٣١ .

(٥٧) مصطفى طوران ، اسرار الانقلاب العثماني ترجمة كمال خوجة (تونس : دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٤) ، ص ٩ ؛ بني المرجة ، المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

قنبلة موقوتة تحت كرسي القيادة . وقد حضر السلطان الى المسجد لأداء صلاة الجمعة في (٢١) تموز (١٩٠٥) ، وبعد انتهاء الصلاة اراد السلطان مجاملة شيخ الاسلام جمال الدين افندي فأمضى بضع دقائق معه ، وفي هذا الوقت بالضبط انفجرت العربة ، الا ان السلطان لم يصب باذى[٥٨] . وقد كشفت التحقيقات حجم المتفجرات التي بلغت (٨٠) كغم مع (٢٠) كغم من قطع الحديد، وذهب ضحية الحادث (٣٦) شخصا وجرح (٥٨) شخصا ، والقي القبض على جورس ومعاونيه اليهودي الروسي قسطنطين فيوليانا الذي انتحر بقطع شرايين يده والارمني ميكائليان وابنته روبينا ، والغريب ان السلطان عفا عن جورس وامر باخراجه من اراضي الدولة العثمانية[٥٩] . ويبدو ان إستعانة الماسونية والحركة الصهيونية بالارمن في كلتا الحادثتين كان يراد منه فضلا عن التخلص من السلطان ، احداث رد فعل شعبي ضد الارمن مما قد يؤدي حدوث مجزرة ضدهم تلقى تبعتها على العثمانيين وتعمل الماكنة الدعائية الماسونية ضد العثمانيين المسلمين بحجة إنصاف الاقليات والطوائف الدينية في الدولة العثمانية ، ومما يزيد اجرام الماسونية انها لم تحترم حرمة الجامع وحرمة الانفس البشرية التي ازهقت .

لم يكتف المتآمرون بالارمن بل كانت عناصر الاتحاد والترقي والماسونية تعمل بكل همة ونشاط ، ومن هؤلاء مصطفى كمال (اتاتورك فيما بعد) ، يعمل ضمن منظمة سرية تعرف باسم (الوطن) الا انه سرعان ما وقع بايدي البوليس السري فاودع السجن لفترة ثم افرج عنه وارسل في مهمة الى دمشق وهناك اخذ يتحرك خفية للاتصال بالضباط في غزة وحيفا وبيروت وطرابلس ، الا انه نقل الى مسقط رأسه (سلانيك) وهناك تعرف على جمعية الاتحاد

---

(٥٨) هاسلب ، المرجع السابق ، ص ٢٦٥ ؛ طوران ، المرجع السابق ، ص ٩-١١ ، النعيمي ، المرجع السابق ، ص ١٤٧-١٤٨ .

(٥٩) محمد علي ، المرجع السابق ، ص ١٦٣-١٦٥ ؛ بني المرجة ، المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

والترقي وانتمى اليها ، ثم انتمى لمحفل (فيدانا) وعمل على تنظيم الماسـونيين ويهود الدونمة ، وعدد من اقوى منظمي النشاط الماسوني اليهودي السري • ومن جانب اخر كان رئيس جمعية الاتحاد والترقي احمد رضا يجري اتصالاته بـ « الجمعية الاسرائيلية » في مصر في اثناء وجوده فيها عام (١٩٠٧)[٦٠] •

من اجل التهيئة للانقلاب ، دفع عمانوئيل قرهصو انصار الحركة الماسونية وجمعيةالاتحادوالترقي طلعت بك وجمال بك وأنور بك ونيازي وغيرهم الى العمل باقصى جهد ، وفي (٢٣) تموز (١٩٠٨) القت الجمعية منشورات في شـوارع سلانيك تدعو الناس للتجمع في اليوم التالي (٢٤) تموز ، الا ان الناس تجمعت في اليوم نفسه (٢٣) تموز في ميدان اوليمبوس ، وتقاطر الخطباء من قـادة الماسونية والجمعية لالقاء خطبهم من شرفة فندق (اوليمبوس بلالاس) ، وطالب هؤلاء بضرورة اعلان الدستور ، وكان على رأس الخطباء عمانوئيل قرهصـو الذي القى خطبته باليهودية (الاسبانية) ، وفي المساء اعدت مأدبة وعزفـت فيها الموسيقى العسكرية نشيد المارسلياز نشيد الثورة لفرنسية[٦١] • وارسل انور بك نيابة عن جمعية الاتحاد والترقي رسالة الى الصحيفة الصهيونيـة (New Freiepress) لاشعارها بالانقلاب ضد السلطان وان الجيش سيزحف على العاصمة اذ لم ياب السلطان مطاليب الجمعية • كما وادى رشيد باشا وهو ماسوني من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي دوره في اخافة السلطان مــن « انتفاضة الامة » اذ لم يعلــن السلطان الدستور خلال ساعتين »[٦٢] • وقد استجاب السلطان ، وارسل برقية الى جميع الولايات اعلن فيها موافقته على اعلان الدستور •

---

(٦٠) سليمان مظهر ، « الذئب الاغبر والانقضاض على الضحايا » ، مجلـة العربي ، العدد ٤٦٠ ، مارس ١٩٩٧ ، ص ٦٣ ؛ رامزور ، المرجـع السابق ، ص ٨٦ ؛ الشوابكة ، المرجع السابق ، ص ٣١٠ •

(٦١) روحي بك الخالدي المقدسي ؛ « الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة » ، مجلة الهلال ، ج٣ ، س ١٧ ، ١ ديسمبر ١٩٠٨ ، ص ١٦٨–١٦٩ ؛ سنقرط ، ج٢ ، ص ١٣٣ •

(٦٢) حلاق ، المرجع السابق ، ص ٣٦٣ ؛ النعيمي ، المرجع السابق ، ص ٢٠١ •

انقلاب ١٩٠٨ وسيطرة الماسونية :

بعد نجاح انقلاب عام (١٩٠٨) انتعشت امال الحركة الماسونية والصهيونية، وجرت في مدينة سلانيك ــ قلب الماسونية ومركز الانقلاب ــ مسيرة نظمتها المحافل الماسونية حضرها هيئات وشخصيات كبيرة محلية وعالمية ، وتصدرها عمانوئيل قرەصو الذي القى خطابا تحت علم الماسونية[٦٣] . وشارك اليهود الماسونيين مختلف الولايات العثمانية الطوائف الاخرى ابتهاجا باعلان عودة العمل بالدستور ، وكان في مقدمة المتظاهرين فرحا بالدستور رئيس الحاخامات (حاخام باشي) في استانبول ، وفي فلسطين ، فاق يهود القدس جميع الطوائف في اظهار عواطفهم ، ونشط خطباؤهم في تمجيد العهد الجديد ، وبالغت جرائدهم المحلية في مدحه ، كما بادرت الحركة الصهيونية في رفع علمها في يافا[٦٤] .

من اجل تأمين فرض سيطرة الاتحاديين والماسونيين عمد الانقلابيون الى ابدال وزارة الشرطة بـ « مديرية الامن العام » والتي تسيطر على الشرطة والدرك (الجندرمة) ووضعت تحت امر ماسوني من سلانيك ، كما وضعت إدارتا المطبوعات الخارجية والداخلية تحت امرة يهود ماسون وغلاة الاتحاديين[٦٥] . وعلى اثر ذلك صدر العديد من الصحف اليهودية في ولايات الدولة العثمانية ولاسيما استانبول ، سلانيك ، القدس ، منها : التبهجيو ، صاحب الامتياز : غرامونا ، تلغراف : باسف سلامي ، مسرت : عزت ومحمود خلوصي ، بوانا اسيه راتيا : يوسف فران ، آل قومر سيال : فرانقوبك ، النوئه ل اريو : ياقو الغرناطي ، زورنال وسلانيك : قسيم افندي ، اوەنيس : ميثون

(٦٣) النعيمي ، المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

(٦٤) عبدالمسيح الانطاكي ، نيل الاماني في الدستور العثماني ، (مصر : ١٩١٤)، ص ٧٥ ؛ الشوابكة ، المرجع السابق ، ص ٣١٠ــ٣١١ .

(٦٥) اتلخان ، الخطر ... ، ص ١٥٣ ؛ محمد علي ، المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .

اروملاح ، هاسيفي : يهودا لبيب بن اسحاق ، هاشكان : حمدو بنت شلومو خاتون[٦٦] .

من اجل السيطرة على احكام مقدرات البلاد السياسية والاقتصادية تم تعيين طلعت بك وزيرا الداخلية وجاويد بك نائب سلانيك وزيرا للمالية ، كما عين العديد من ضباط الجمعية من الماسون في المحاكم العسكرية بعد ان اعلنت الاحكام العرفية مدة سنتين ، كما وضع (٩٠) ماسونيا تحت امرة طلعت وجاويد والماسوني الاخر نسيم روسو ، فشكلت هيئة ادارية عامة ماسونية مؤلفة من طلعت وشيخ الاسلام موسى كاظم والصدر الاعظم حلمي باشا ثم حل محله حقي باشا عندما اصبح صدرا اعظم عام (١٩١٠)[٦٧] .

في شهر آب (١٩٠٨) اي بعد شهرين من الانقلاب ، اجتمع (٤١) ممثلا عن المحافل الماسونية المحلية في استانبول ودعوا الى تأسيس مجلس الشورى العثماني الماسوني الاعلى ، وفي (٣٠) اذار (١٩٠٩) تأسس المجلس المذكور برئاسة الماسوني المصري عزيز حسن باشا ، وعضوية كبار زعماء جمعية الاتحاد والترقي ، وفي فترة تأسيس المجلس كان هنالك (٢١) شخصا يحملون درجة (٣٣) وهي درجة الاستاذية في المحافل الماسونية[٦٨] . ومن ثم تم في السنة نفسها تأسيس (المشرق الاعظم العثماني) ، وانتخب طلعت بك استاذا اعظم له ، وانتخبت هيئته العليا من كبار الاتحاديين مع معاونين من اليهود والنصارى ، وفيما بعد انتخب وزير المالية جاويد بك استاذا اعظم لجميع المحافل الموجودة

---

(٦٦) محمود راغب ، نوسال راغب ، برنجي سنه ، (درسعات : قرهيت مطبعة سي ، باب عالي جادة سنده ، ١٣٢٤) ، ص ٣٢٧–٣٣١ ؛ المقتبس (مجلة ، ج٥ ، م٥ ، ١٩١٠ ، ص ٣٤٦) .

(٦٧) المشرق (مجلة) ، ج٥ ، س١٤ ، ايار ١٩١١ ، ص ٣٨٣ ؛ محمد علي ، المرجع السابق ، ص ٢٩٦–٢٩٧ ؛ اتلخان ، الخجر ...، ص ١٥٣ .

(٦٨) للتفاصيل عند اسماء اعضاء المجلس المذكور واسماء حاملي الدرجة (٣٣) ، انظر : **Nuri Gun, A. G. E, S, 26.**

في استانبول[٦٩] • وبدأت المحافل الماسونية تنتشر في العاصمة استانبول وبقية الولايات العثمانية وبشكل علني ، حيث اسس (١٢) محفلا جديدا في استانبول اشهرها محفل (الدستور) الذي كان من كبار رؤسائه طلعت بك وجاويد بك وقد انظم اليه جل نواب الجمعية في مجلس النواب العثماني (المبعوثـــان) والاعيان ، كما انتشرت المحافل الماسونية في الولايـات العربيـة المحيطـة بفلسطين[٧٠] • ويبدو ان لاطماع اليهود في فلسطين دورا في ذلك من خـلال تسهيل تسلل المهاجرين اليها •

ان الدور الكبير للاحداث الخطيرة في الدول العثمانية لمحفل فيرتـــاس الذي مارس نشاطه تحت رئاسة عمانوئيل قرهصو ، وكان تحت امرة الاخير كل من جمال بك وطلعت بك ، كمان سياسة الجمعية واعمالها وقراراتها كانت تقرر في المحفل المذكور ، ووضعت اجراءات الحكومة وتحركات السلطان تحـت انظاره ، فضلا عن ان قرار خلع السلطان عبدالحميد الثاني كان قد اتخـذ في هذا المحفل ، حيث قدم من سلانيك وفد اتحادي ضم : طلعت وانور وجاويـد ورحمي وعقدوا اجتماعات مع رؤساء الجمعية في استانبول تم على اثرهـا اتخاذ قرار بالعمل على احداث عصيان مسلح واغتنام الفرصة للاســتيلاء على ثروة مقر يلدز ثم خلع السلطان وتنصيب ولي العهد محمد شاد[٧١] • وقد استلم قرهصو (٤٠٠) الف ليرة ذهبية من البنك الايطالـي ثم اعطاها لثـري

(٦٩) اتلخان ، الخطر ...، ١٥٢ • وللتفاصيل عن النظام الداخلي والقانـون الاساسي واسماء قادة المحفل المذكور ، انظر :

Nuri Gun, A. G. E, S, 25-28 ; Tunaya, A. G. E, S, 387-388.

(٧٠) النعيمي ، المرجع السابق ، ص ٢٠٤ ؛ محمد علي ، المرجع الســابق ، ص ٢٩٧ ؛ بني المرجة ، المرجع السابق ، ص ٢٣٢

Nuri Gun, A. G. E, S, 25-28 ;

(٧١) طوران ، اسرار ...، ص ٣٩ ؛ الشوابكة ، المرجع السابق ، ص ٣٠٧ ؛
Nuri Gun, A. G. E, S, 24,

يدعى سليم دراغا الذي اعطاها بدوره لايوب صبري قائد الجناح العسكري لجمعية الاتحاد والترقي ، لصرفها على احداث (٣١) اذار (١٩٠٩) نيسان (١٩٠٩) او ما عرف بالثورة المضادة وكانت العناصر التي بدأت الاحداث في اليوم المذكور تنتمي الى الافواج الاربعة التي ارسلت خصيصا من سلانيك الى العاصمة وكانت تحت امرة العقيد الماسوني اليهودي السلانيكي رمزي بك، وقد كوفيء الاخير بعد انتهاء الاحداث بتعيينه رئيسا لاركان حرب السلطان محمد رشاد الخامس وعين اخاه مشرفا على معتقل السلطان عبدالحميد الثاني في سلانيك[٧٢].

اتهم عبدالحميد الثاني وانصاره بالاحداث ، لذا فقد قرر الاتحاديين والماسونيين على خلعه ومنحو شرف اصدار القرار لمجلس النواب (المبعوثان) الذي اجتمع في منطقة سان ستيفانو (يشيل كوي) تحت حرب الجيش الثالث (جيش الحركة) واصدار القرار المذكور ، وليكون القرار اكثر ايلاما للسلطان فقد شكل وفد تبليغ القرار للسلطان من اليهود والارمن وعلى رأس هؤلاء عمانوئيل قرهصو الذي سبق ان هدد السلطان بالخلع ، ثم نقل السلطان الى فيلا (آلاتيني) في سلانيك معقل الماسونية[٧٣] ، وينكر السلطان عبدالحميد الثاني اية علاقة له بالاحداث ، كما انه رفض اصدار اية اوامر لقواته بالتصدي لجيش الحركة لانه حسبما يقول يرفض اراقة دماء المسلمين ، ويقول السلطان : « ان العمل الوحيد الذي استطاع الماسونيين القيام به في الدولة العثمانية ، هو نشر الشقاق والتمرد بين صفوف الجيش من دون ان يعلموا انهم يعملون لصالح انكلترا التي تدعي نشر الافكار الحرة في امبراطوريتنا ، واشد ما يؤلمني ان يتعاون هؤلاء الضالون الاتراك مع

---

(٧٢) محمد علي ، المرجع السابق ، ص ٢٩٥-٢٩٦ ؛ طوران ، اسرار ... ، ص١٦

(٧٣) تقويم وقائع ، نومرو ١٩٤ ، ١٥ نيسان ١٣٢٥ ، هاسلب ، المرجع السابق ، ص ٣٢٩-٣٣٣ .

اليونانيين ، والبلغاريين في سبيل ازاحة المستبد عن الحكم[٧٤] • وقد احتفل الماسون واليهود بخلع السلطان عبدالحميد الثاني « مضطهد اسرائيل » واخذت الصحف اليهودية الماسونية تزف البشرى للعالم واليهود بشكل خاص ، كما خرجت التظاهرات في سلانيك تعبيرا عن الفرح والابتهاج ، وطبعت صور هذه المظاهرات في بطاقات بريدية تباع في الاسواق العثمانية[٧٥].

خلال الاعوام الاربعة الاولى من حكم الاتحاديين (١٩٠٨ــ١٩١٢) ، كان لوزير المالية اليهودي الماسوني جاويد بك دور كبير في اقتراض الدولة العثمانية قروضا انقضت ظهرها حيث تم اقتراض (٤٠) مليون ليرة ، في حين انها لم تستقرض مثلها في (٣٠) عام ، وكان جاويد بك يرافق زوج اخته الصدر الاعظم حقي باشا في زيارته للحصول على قروض من باريس ، كما كان قد اتفق مع رفاقه الاتحاديين على تدبير اموال يهودية مقابل الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين ، وقد استطاع عام (١٩١٠) ان يعقد قروض مع بيوت مالية يهودية[٧٦] • وقد انفق ربعها على الجيش والربع الاخر على عناصر الجمعية وانصارها والباقي دخل خزينة الجمعية[٧٧] • ويبدو ان مسألة اغراق الدولة العثمانية بالقروض هو تنفيذ للبروتوكول (٢٠) من بروتوكولات حكماء صهيون القاضي باغراق غير اليهود (الغوييم) بالقروض والاستعانة من المصارف اليهودية ليسهل تحقيق غايات اليهود[٧٨].

---

(٧٤) Bozdag, A. G. E, S, 107, 123-124.

(٧٥) النعيمي ، المرجع السابق ، ص ٢٢٦ ؛ محمد علي ، المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

(٧٦) الائتلاف العثماني (جريدة) ، العدد ٢٩ ، س١ ، بيروت ، ٢٣ رمضان ١٣٣٠هـ (٥ أيلول ١٩١٢م) ، اتلخان ، الخطر ... ، ص ١٥٣ ؛ حلاق ، المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

(٧٧) الائتلاف العثماني ، العدد ٤٠ ، س١ ، بيروت ، ١٠ شوال ١٣٣٠هـ (٢١ أيلول ١٩١٢م) .

(٧٨) نويهض ، المرجع السابق ، ص ٢٧٩ــ٢٨٠ .

واجهت السياسة الاقتراض الاتحادية الانتقاد ، حيث انتقد بعض النواب في البرلمان العثماني ، وبضمنهم النواب العرب ، تخبط وزارة المالية وعدم دقتها في تنظيم حساباتها مما دفعها الى عقد قروض مع دول اجنبية مما ادى الى تدخل الدول الاجنبية والصهيونية العالمية في شؤون الدولة العثمانية ، كما اشاروا الى النشاط الصهيوني في فلسطين وشط العرب ، وعلى الرغم من هذه الانتقادات فأن قرەصو نائب سلانيك وزعيم محفل فيرتاس كان يرى ان مسألة الهجرة اليهودية الى فلسطين غير مهمة ، مما اثار غضب النواب العرب الذين شنوا حملة ضد النشاط الصهيوني في فلسطين ومخاطره على المنطقة ، كما وزعوا طوابع تحمل شعارات الحركة الصهيونية وصور زعمائها ، كما اوضحوا ان الحركة الصهيونية تعمل على تهريب السلاح الى داخل فلسطين وتقوم بتدريب اليهود عليها فضلا عن جمع الضرائب والاموال لصالح الحركة الصهيونية والهجرة اليهودية وإفساد الجهاز الاداري العثماني وشراء الذمم ونهب الكنوز والاثار العربية الاسلامية(٧٩) .

حروب التفتيت :

جاء في البروتوكول السابع من بروتوكولات حكماء صهيون « .. وعلينا ان نكون في موضع يمكننا من تناول اي عمل من اعمال المعارضة وذلك بابقاء الحرب بين البلاد المعارضة لنا وجاراتها في حال قيامهم جميعا في وجهنا يدا واحدة ، فحينئذ لا سبيل الا ان نستوقد حربا عالمية كاسحة »(٨٠) . وتنفيذا لذلك فقد عمد اليهود والماسونيون على ادخال الدولة العثمانية في سلسلة

---

(٧٩) للتفاصيل ، انظر : عبدالقادر ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠–٢٠٨ . ومن الجدير بالذكر ان عدد النواب اليهود في مجلس النواب (المبعوثان) كان (٥) نواب ، انظر :

Sevket Sureyya Aysemer, Enver Pase, 1908 1914), Cilt 2, (Istanbul : 1971), S, 93.

(٨٠) نويهض ، المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

من الحروب بغية اضعافها وتفتيتها ، وقد تعاون في سبيل تحقيق هذا الهدف كبار الماسونيين من العثمانيين ومن غلاة جمعية الاتحاد والترقي سواء الماسونيين منهم عن وعي ودراية او المخدوعين بشعاراتها ، كما استغلت الماسونية العالمية عناصرها في مختلف المراكز القيادية المحلية والدولية واثارة المطامع في ارث (الرجل المريض) ومن هنا بدأ التطبيق العملي من خلال حروب التفتيت .

كانت ايطاليا تخطط لغزو طرابلس الغرب منذ اواخر القرن التاسع عشر لذا بذلت اقصى جهودها لاحتلالها في الفترة (١٩١١-١٩١٢) وكان للماسونية دور كبير في تسهيل مهمة الاحتلال ، حيث لقي الماسوني اليهودي الدونمي متر سالم دوره في ذلك ، وكان موضع ثقة طلعت بك كما كان ذا اتصالات واسعة بالاوساط العالمية ، وقد سافر الى ايطاليا وقابل رئيس بلدية روما الماسوني ناثان ، وهناك رسمت الخطط اللازمة لتسهيل عملية الغزو ، وبعد عودته استطاع اقناع الاتحاديين بسحب الاسلحة والعتاد من طرابلس الغرب بحجة تعميرها كما سحبت بعض القطعات العسكرية وارسلت الى اليمن بسبب وجود اضطرابات فيها ، وقد قبض متر سالم ملايين الليرات الذهبية ثمن نجاحه بالمهمة[٨١].

كان الصدر الاعظم حقي باشا سفيرا سابقا للدولة العثمانية في روما وصديقا لرئيس بلديتها ناثان ، كما ان الوزارة الايطالية آنذاك كانت لها علاقتها الواسعة مع جمعيات سلانيك ومعظم اركان وزارة حقي باشا وشيخ الاسلام[٨٢] . وعندما بدأت عملية الغزو ارسل رئيس الوزراء الايطالي

---

(٨١) اتلخان ، اسرار ... ، ص ٦٣-٦٤ . ومن الجدير بالاشارة ان احد المصادر يذكر ان جمعية الاتحاد والترقي قبضت ثلاثة ملايين ليرة كقسط اول لاخلاء طرابلس الغرب من الجنود والاسلحة ، وثلاثة ملايين اخرى بعد الاحتلال . انظر : الائتلاف العثماني ، العدد ٤٠ ، س١ ، بيروت ، ١٠ شوال ١٣٣٠هـ (٢١ ايلول ١٩١٢م) .

(٨٢) الائتلاف العثماني ، العدد ٣٧ ، س١ ، بيروت ، ٧ شوال ١٣٣٠هـ (١٨ ايلول ١٩١٢م) ؛ اتلخان ، الخطر ... ، ص ٢١٣ .

اليهودي الماسوني لوتزاني رسولا يهوديا ماسونيا ايطاليا الى العاصمة استانبول ليسعى هناك لمصلحة ايطاليا مستخدما الوسائل الماسونية لبلوغ مناه[٨٣] . وكان يهود طرابلس الغرب قد سهلوا عملية الاحتلال حيث عملوا ادلاء لقوات الغزو الفاشية وجواسيس على عناصر المقاومة الوطنية ، اما يهود الدونمة في استانبول فقد كانوا في اثناء عملية الغزو يبتزون الدولة العثمانية سياسيا واقتصاديا رغم دعوات التضامن الوطني[٨٤].

تعالت الانتقادات ضد سياسة الاتحاديين والصدر الاعظم حقي باشا ووزارته المستقيلة عام (١٩١١) ، ولاسيما في مجلس النواب العثماني ، حيث قدم نواب طرابلس الغرب تقريرا الى المجلس مكون من (٩) نقاط اتهموا فيه وزارة حقي باشا بالاهمال والتقصير في الدفاع عنها مما مكن الايطاليين من احتلال اجزاء منها واتهموه بالخيانة وطالبوا بمحاكمته ، الا ان وزارة سعيد باشا ــ الاتحادية ايضا ــ التي اعقبتها لم تتخذ اي اجراءات ، وفي اثناء المناقشات التي اعقبت ذلك حاول نائب السلانيك قرهصو تخفيف حدة التوتر داعيا الى ضبط النفس « لان المسألة ابعد من ان تكون مسألة طرابلس الغرب وحدها ... » مدعيا ان المشاكل الداخلية هي التي شجعت ايطاليا على غزو طرابلس الغرب ، الا ان النواب العرب طالبوا بضرورة بحث المسألة بكل جدية وضرورة محاسبة المقصرين ، وقد ادى احتدام مسألة الغزو الى حل مجلس النواب في (١٨) كانون الثاني (١٩١٢)[٨٥].

ادت اجراءات الاتحاديين المتطرفة قوميا وسياسيا ومحاولاتها تتريك الدولة وصهر القوميات المؤتلفة في اطار الدولة العثمانية ، وسياستها الخاطئة التي قادت الى ضياع طرابلس الغرب ، الى قيام مجموعة من الضباط عرفت

---

(٨٣) التل ، المرجع السابق ، ص ٨٨ ؛ شيخو ، المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

(٨٤) بني المرجة ، المرجع السابق ، ص ٢٥١ــ٢٥٢ ؛ النعيمي ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٨٥) لمزيد من التفاصيل ، انظر : عبدالقادر ، المرجع السابق ، ص ٢٠٩ــ٢١٨ .

باسم مجموعة ضباط الانقاذ « خلاص كار ضابطان كروبي » بانقلاب ادى الى سقوط الاتحاديين ومجيء حكومة حزب الحرية والائتلاف برئاسة مختار باشا ، التي سارعت الى عقد صلح مع ايطاليا تخلت الدولة العثمانية بموجبه عن طرابلس الغرب ، ولعل سبب ذلك بوادر اندع حرب البلقان الاولى التي شنتها كل من اليونان وبلغاريا وصربيا ضد الدولة العثمانية .

اسهم الماسونيون العثمانيون في اشعال حرب البلقان ، حيث كان عمانوئيل قره‌صو مسؤولا عن تكوين عصبة البلقان ودفع دولها الى الحرب ضد الدولة العثمانية تمهيدا لاضعافها ثم تحطيمها ودفعها الى الانهيار[٨٦] . كما كان لليهود دورا كبيرا في اضعاف الجيش العثماني المحارب في بعض مناطق البلقان، مما سبب خسائر كبيرة في الارواح والمعدات وانسحاب الجيش العثماني من بعض تلك المناطق ، فحينما حوصرت مدينة ادرنة من الصرب والبلغار ، وعندما كانت المدينة تعاني من الجوع والفقر والحرمان ، كان يهود الدونمة والماسونيون داخل المدينة المحاصرة يتآمرون ضدها ، فأخذ قسم منهم يعمل على خلق الفوضى في صفوف الجيش المحاصر عن طريق اثارة المنافسات السياسية والنزاعات الحزبية ، في حين ان القسم الاخر ولاسيما اليهود كانوا يعتصرون الحياة داخل المدينة حيث احتكروا مادتي السكر والملح وضاعفوا اثمانها مما ارهق الجيش والاهالي ، وحينما حاول الجيش وضع يده على المواد الغذائية ، القى اليهود الملح في الابار وباعوا مائها بالفناجين قيمة كل فنجان قرش صاغ ، ولم يكتف اليهود بذلك ، بـ كانوا ينقلون اخبار المدينة ومواقعها الحصينة ومناطق تواجد قطعات لجيش العثماني الى البلغار عن طريق كتابة التقارير ، ووضعها في قناني والقائها في النهر ، هذا فضلا عن بث الاشاعات واضعاف المعنويات ، وقد القي القبض على بعضهم وحكم عليهم بالاعدام ، الا

---

(٨٦) رامزور ، المرجع السابق ، ص ٢٠١ ؛ اتلخان ، اسرار ...، ص ٦ ؛
Nuri Gun, A. G. E, S, 29-34.

ان القوات البلغارية شنت هجوما صاعقا خلال الايام (١٠ـ١٣) اذار (١٩١٢) استطاعت من خلاله اختراق الدفاعات العثمانية بعد ان نفذت الاعتدة والاغذية وقل عدد المدافعين فكان ان اضطرت القوات العثمانية الى الاستسلام على ان تنسحب باحترام(٨٧).

في عام (١٩١٢) اعلنت البانيا انفصالها عن الدولة العثمانية مستغلة ظروف حرب البلقان ، واستطاعت القوات الالبانية تحقيق بعض الانتصارات ضد الحاميات العثمانية ، وعندما ارسلت الدولة العثمانية بعض القطعات لقمع الانفصال وقبل التحام القوات المتحاربة القى العديد من الجنود والضباط الماسون السلاح ، بل سلم بعض ضباط الفرقة الاولى منهم اسلحتهم لقوات الانفصاليين الالبانيين ، مما احدث ارتباكا في تشكيلة القطعات ادى فيما بعد الى استيلاء الانفصاليين على مدينة (اسكوب) الالبانية ، الا ان قائد الفرقة الحادية عشرة المشير ابراهيم باشا وجه انذار للقوات الانفصالية بضرورة اخلاء المدينة خلال ساعتين ، وامام ضغط القوات العثمانية اضطر الانفصاليون الى اخلاء المدينة ، وهكذا سدت الثغرة التي احدثها الضباط والجنود الماسون(٨٨).

ومن ثم اعقبتها حرب البلقان الثانية التي ادت الى خسارة الدولة العثمانية غالبية مقاطعاتها في منطقة البلقان .

حرب الانهيار :

استغل الاتحاديون والماسونيون هزائم حكومة حزب الحرية والائتلاف في حرب البلقان ، وقادوا انقلابا ناجحا عام (١٩١٣) ، تمكنوا من خلاله اعادة فرض سيطرتهم على الدولة العثمانية ، وكان للعناصر الماسونية اليهودية تمثيل

---

(٨٧) اتلخان ، الخطر ... ، ص ٥٧ـ٦٤ .

(٨٨) اتلخان ، اسرار ... ، ص ٤٢ـ٤٣ . ومن الجدير بالذكر ان احد المراجع يذكر ان اول محفل ماسوني افتتح في الدولة العثمانية كان محفل (برات) مركز البانيا . انظر : النعيمي ، المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

كبير في تشكيلة الوزارة الاتحادية ، فطلعت باشا اصبح وزيرا للداخلية ثم صدرا اعظم ، وانور باشا وزيرا وزيرا للحربية ، وجمال باشا حاكما عاما لاستانبول ثم قائدا للجيش السادس ، وجاويد بك وزيرا للمالية ثم مفتش عام للاعاشة ، وبساريا افندي اليهودي الماسوني وزيرا للاشغال العامة ، ونسيم مازلياح اليهودي الماسوني وزيرا للتجارة والزراعة ، واوسقان افندي وزيرا للبريد والبرق ، فضلا عن العشرات من عناصرهم القيادية في ادارة الدولة المختلفة العسكرية والمدنية •

ان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ـ١٩١٨) من تدبير اليهود وتهيئتهم كما يشير الى ذلك البروتوكول السابع المار الذكر ، فضلا عن اقوال اليهود ، فهذا الصحفي اليهودي الانكليزي (دين ميس هانوالدر) يقول في كتابه (الحقيقة البريطانية) : « ان عودة اليهود الى فلسطين بصورة كاملة ونهائية ظافرين ستكون بعد الحرب الكونية الاولى التي ستقع قريبا ••• وفي هذه الحرب ستمزق الامبراطورية التركية وسيمتلك اليهود الارض الموعودة ظافرين » ، وهذا صحفي يهودي اخر يقول في جريدة (فلسطين الجديدة) عام (١٩٢٣) : « نظن ان التاريخ سيحقق لنا حادثة انشاء وطن قومي لليهود من احدى النتيجتين الرئيسيتين لحرب ، فلاجل هذا فقد دفعنا العالم الى الحرب ، وغلبناهم » •

تقع مسؤولية اشراك الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى على الماسونيين وقادتها وهم قادة الماسونية العثمانية وقادة جمعية الاتحاد والترقي في الوقت نفسه ، ويعد وزير الحربية انور باشا المسؤول الاول عن قرار انضمام الدولة العثمانية الى دول الوسط في الحرب[٨٩] • وعند نشوب الحرب

---

(٨٩) النعيمي ، المرجع السابق ، ص ٢٣٢ ؛ اتلخان ، الخطر ..، ص ١٠٢ـ١٠٢
Nuri Gun, A. G. E, S, 29.

العالمية الاولى ، وبينما كانت الجيوش العثمانية تحارب في مختلف الجبهات ، كان كبار قادة الماسونية في الدولة العثمانية مشغولين بنهب الدولة وارزاق قواتها المحاربة وادويتها ، فهذا زعيم محفل فيرتاس ومخطط السياسة العثمانية من وراء الستار الماسوني عمانوئيل قرەصو قد نصب مفتشا عاما للاعاشة ، واستطاع في اثناء وجوده في هذه الوظيفة ان يجمع اموالا طائلة لحسابه الشخصي ، اما فؤاد سورايا باشا احد قيادي محفل ضياء الشرق المؤسس عام (١٩١٠) واحد معاوني وزير الحربية انور باشا ، فكان يعمل في المستشفى المركزي ويسجل اسماء الماسونيين الذين يفدون اليها ، وكان يسرق الادوية بعلم انور باشا ، وبعد اجراء التحقيقات جرى التعتيم على الموضوع من قبل هيئة التحقيق الماسونية(٩٠).

حاول اليهود الحصول على وعد من الدولة العثمانية باستعمار فلسطين ، وعرض ممثل الحركة الصهيونية في استانبول ريتشارد لختيم على الحكومة العثمانية تشكيل قوة يهودية من يهود بولونيا لتقاتل مع الجيش العثماني ، مقابل شرط واحد وهو ان يسمح لليهود باستعمار فلسطين ، الا ان العرض رفض(٩١) . ويبدو ان سبب الرفض هو الخشية من الرأي العام الاسلامي داخل الدولة العثمانية وخارجها ، وبعد اخفاق حملة الدردنيل ، وبغية شق الجبهات العسكرية العثمانية ، حاول الحلفاء والماسون الاتصال بجمال باشا (السفاح) وهو أحد العناصر القيادية الاتحادية الماسونية ، من أجل القيام بثورة يطيح من خلالها بالسلطان والدولة العثمانية وتنصيب نفسه خليفة على المسلمين وحصر العرش في نسله ، الى ان تصادم المصالح الاستعمارية بين كل

(٩٠) رامزور ، المرجع السابق ، ص ٢٠١ ؛ اتلخان ، اسرار ...، ص ٦ ؛
Nuri Gun, A. G. E, S, 30.

(٩١) نويهض ، المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

من فرنسا وانكلترا وروسيا ادى الى اخفاق الاتصالات[٩٢] . وانتهت الجولة الاولى من جولات احداث انشقاق داخلي في الجبهات العثمانية المختلفة .

عمل اليهود بكل قواهم من اجل تدمير الدولة العثمانية والحيلولة دون خروجها من الحرب قبل هزيمتها بالكامل ، واعترف حاييم وايزمن خليفة هيرتزل في قيادة الحركة الصهيونية انه حال دون خروج الدولة العثمانية من الحرب ، وكان هنري مورغنتو سفير الولايات المتحدة الامريكية قد نجح في اقناع الرئيس الامريكي ولسون بضرورة اخراج الدولة العثمانية من الحرب صلحا ، الا ان بريطانيا واليهود حالا دون ذلك[٩٣] . لان خروجها من الحرب من دون الهزيمة الكاملة يضيع على الانكليز اقتسام ارث « الرجل المريض » ويضيع على اليهود استعمار فلسطين .

لعبت الجاسوسية اليهودية دورا مهما في رفد الحلف بالمعلومات عن حركات القطعات العثمانية خاصة في فلسطين ، فقد كان حاخام اليهود في مصر حاييم ناحوم عميلا للمخابرات البريطانية في الدولة العثمانية والولايات العربية[٩٤] . كما كانت الجاسوسة اليهودية سوزي ليبرمان تعمل على جمع المعلومات من خلال الايقاع ببعض الضباط العثمانيين الشبان وبعض الجنود

---

(٩٢) عبدالقديم زلوم ، كيف هدمت الخلافة (د.م ، ١٩٦٢) ، ص ٧٤-٧٧ ؛ بني المرجة ، المرجع السابق ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .

(٩٣) التل ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٩٤) منصور ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .

العرب الفلسطينيين ، بعد مقتل احد الضباط العثمانيين تم القاء القبض على الجاسوسة المذكورة مع والديها وقرابة (٢٠) شخصا وكان بين هؤلاء جاسوسان يهوديان هما (موسيس وهيرموت) وكانا ضابطين في الاستخبارات البريطانية[٩٥].

وفي مدن حيفا ويافا والناصرة وطبريا كان يقود صبكة التجسس اليهودية اليهودي الصهيوني (ارانسون) الذي عين واليا على القدس بعد الاحتلال الانكليزي ، وكان له مساعدان هما الجاسوسة (سيمي سيمون) والجاسوس (كامبيس) وكانت سيمي قد عقدت صداقات مع بعض ضباط القيادات العثمانية في فلسطين لذا فأنها كانت تتجول في مقرات الوحدات وتقوم بالتقاط المعلومات وتنقلها الى (ارانسون) ، الى ان القي القبض عليها وحكمت بالاعدام ثم ابدل بالنفي الى قونيه حيث ماتت هناك . كما القي القبض على جاسوسة يهودية اخرى تدعى (سارة) تعمل في حيفا ، وفي اثناء تسفيرها الى بلاد الشام لاجراء محاكمتها ، القت بنفسها من القطار وماتت تحت عجلاته . وكانت قرية (زمارين) مركز التجسس اليهودي الماسوني على الجيش العثماني والمتعاونين معه ، والقي القبض على مجموعة من الجواسيس ممن كانوا يعملون تحت امرة الجاسوسين اليهوديين الماسونيين (جوزيف توبين) و (نعمان بليكنت) واجريت لهم محاكمة وسيقوا الى ميدان (المرج) في الشام حيث تم اعدامهم[٩٦].

---

(٩٥) للتفاصيل ، انظر : جواد رفعت اتلخان ، مذكرات الجاسوسية اليهودية سوزي ليبرمان ، تعريب محمد طاهر توفيق ، (بغداد : دار البصري د.ت)

(٩٦) اتلخان ، الخطر ... ، ص ١١٤-١١٩ .

استفاد اليهود والماسانيون من الخدمات التي قدموها للخلفاء حيث استطاعوا الحصول على وعد بلفور عام (١٩١٧) وما ان صدر الوعد المشؤوم حتى سارعت كل من المانيا والدولة العثمانية تعرضان وعدا منافسا للوعد البريطاني بغية الحصول على الدعم المادي والمعنوي ليهود العالم بعد ان بانت بداية النهاية والانهيار ، وقدمت عرضا بانشاء شركة بامتياز لمصالح اليهود الالمان الصهيونيين وتتمتع هذه الشركة بشكل محدود من الحكم الذاتي مع السماح بالهجرة اليهودية الى فلسطين وفي نهاية عام (١٩١٧) كان قادة الدولة العثمانية من الاتحاديين مستعدين لقبول هذا المشروع على هذه الاسس وقبل ان تصدر الموافقة النهائية كانت فلسطين قد اصبحت تحت الاحتلال الانكليزي(٩٧).

بعد الانهيار الشامل للدولة العثمانية بدأت الاعترافات بالاخطاء تتوالى، فها هو القائد العام للجيوش العثمانية الجنرال اركان حرب انور باشا يعترف لقائد جيش فلسطين جمال باشا في مقابلة بينهما بعد اندحار القوات العثمانية في فلسطين عام (١٩١٧) حيث قال : « ... اتعرف يا باشا ما هو ذنبنا الحقيقي ... اننا لم نعرف السلطان عبدالحميد ... فأصبحنا آلة بيد الصهيونية واستثمرتنا الماسونية العالمية ... اليم جدا ... ولكن نحن بذلنا جهودنا للصهيونيين ... فهذا هو ذنبنا الحقيقي ... » اما ايوب صبري قائد الجناح العسكري الاتحادي فقد قال : « لقد وقعنا في شرك اليهود ، عندما

---

(٩٧) نويهض ، المرجع السابق ، ص ١٠٣–١٠٤ .

نفذنا رغبات اليهود عن طريق الماسونيين لقاء صفيحتين من الليرات الذهبية ، في الوقت الذي عرض فيه اليهود ثلاثين مليون ليرة ذهبية على السلطان عبدالحميد لتنفيذ مطالبهم الا انه لم يقبل بذلك »(٩٨).

بعد ان استنفذت الماسونية اغراضها من هؤلاء عملت على تنفيذ ما جاء في البروتوكول الخامس عشر :: « ... واما الجمعيات القائمة اليوم ، وهي معروفا لدينا ، وتعمل في خدمتنا كشأنها في الامس ، سنجردها من سلاحها ، ونطرح رجالها في المنافي ... »(٩٩) . حيث فر الثالوث الرهيب انور باشا وطلعت باشا وجمال باشا الى المنافي في اوربا وقتلوا هناك بين عامي (١٩٢١-١٩٢٢) وبفرار هؤلاء وانهيار الدولة العثمانية . انتهى فصل من المأساة ، لتبدأ الماسونية فصلا جديدا مع قادة جدد في التاريخي التركي المعاصر.

(٩٨) النعيمي ، المرجع السابق ، ص ٣٤ ؛ اتلخان ، الخطر ...، ص ١٤٨ ؛
Nuri Gun, A. G. E, S, 24.

(٩٩) نويهض ، المرجع السابق ، ص ٢٤٦-٢٤٧ .